

تحديات الدعوة الإسلامية في أستراليا وأساليب مواجهة التيارات المتطرفة وأفكارها

الشيخ الدكتور/ سليم علوان

أمين عام دار الفتوى في أستراليا

أستراليا

مقدمة :

الحمد لله ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿١﴾ ، حمداً يقينا شر ما نجد ونحاذر، وحمداً ننجو به من سائر المخاطر؛ والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد النبي الكريم والسيد السند العظيم ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٦﴾ ، وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل وسائر الصالحين.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم في حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿١٨﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٩﴾ .
لقد أرسل الله تعالى الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة

(١) الأعلى : ٢ - ٥ .

(٢) النجم : ٣ - ٤ .

(٣) الأنبياء : ١٠٧ - ١٠٨ .

والسلام بدين واحد هو الإسلام، وهو دين الملائكة عليهم السلام، وجعل الله تعالى هذا الدين العظيم دين عدل واعتدال ودين هدى ورحمة، فطوبى لمن تمسك به ودافع عنه.

لما كان المجتمع الأسترالى مجتمعاً متعدد الإثنيات فى أصل تركيبته الاجتماعية والوطنية؛ ولما كانت الجاليات الإسلامية هى البيئة الحاضنة لانطلاق معظم أعمال الدعوة الإسلامية فى أستراليا؛ فقد انعكست التحديات التى يواجهها تفاعل الجاليات الإسلامية فى المجتمع الأسترالى على طرق وأساليب الدعوة الإسلامية فى البلد؛ فكان لا بد - فى سبيل ذلك - من مراعاة كافة الخصائص الاجتماعية والحياتية والمعيشية فيما لا يتجاوز حد الحكم الشرعى، وكان لا بد من الأخذ بعين الاعتبار دراسة جوانب على درجة عالية من الأهمية بدءاً من جغرافيا القارة ومروراً بتأثيرات الاقتصاد والسياسة والإعلام، هذه العناصر التى ترتبط فيما بينها؛ لتشكل مضمار التعايش الحسن الذى ينشده ويتطلع إليه الكل.

الإسلام دين عدل واعتدال :

لقد اختار الله لأمة الإسلام منهجها وبيّن لها طريقها، وطريقها هو الطريق المستقيم الذى لا عوج فيه، فهى أمة الوسطية، ودينها وسط بين الغالى فيه والجافى عنه، وإن وسطية الإسلام وسماحته لا تؤخذ من آراء الناس وأهوائهم، ولكنها تؤخذ من النصوص الشرعية، وإن دين الإسلام والمتمسكين به بعلم بريئون من الانحراف عن الوسط، والذى ينحرف عن هذه الوسطية بغلو أو جفاء فهو غير ممثل للإسلام، وإنما يمثل نفسه.

إن الشريعة الإسلامية تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف الذى يعبر عنه بألفاظ منها (الغلو) و(التتبع)، ومن نظر إلى هذه الأدلة تبين له وبوضوح أن الإسلام ينفرد من الغلو، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

وروى أحمد فى مسنده، والنسائى وابن ماجه فى سننهما، والحاكم فى مستدرکه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ ". وقوله: " إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ " عام فى جميع أنواع الغلو فى الاعتقادات والأعمال، والغلو مجاوزة الحد .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: " هلك المنتطعون " رواه مسلم، أى: المتعمقون

(١) النحل: ٩٠.

الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وضع المسلمين في أستراليا :

المسلمون في أستراليا عبارة عن أقلية دينية صغيرة، ولكن في نفس الوقت يحتلون المرتبة الرابعة بين الأديان في أستراليا؛ حيث تبلغ نسبة النصارى ٦٤%، ونسبة الملحدين ١٨,٧%، ونسبة البوذيين ٢,١% بينما رفض ١١,٢% الكشف عن ديانتهم في تعداد ٢٠٠٦م الذي كشف أن ٣٤٠٣٩٢ أو ١,٧١% هم مسلمون من عدة توجهات.

الجالية الإسلامية تتحدر من عدة أطياف وأعراق، ويوجد سوء فهم شائع بين الأستراليين أن الإسلام جديد في أستراليا، مع أن المسلمين الأوائل قدموا منذ أكثر من ١٠٠ عام؛ حيث إن مسلمي إندونيسيا كانوا يتعاملون تجارياً مع سكان أستراليا الأصليين في الشمال، إلا أن هجرة مواطني الشرق الأوسط، والبلقان، وجنوب شرق آسيا، وشبه القارة الهندية، وأفريقيا السوداء جاءت في بداية الستينات.

ما بين ١٨٦٠م و ١٨٩٩م جاء عدد من الأفغان للعمل على الإبل في أستراليا، وتم استيراد الجمال للمرة الأولى إلى أستراليا في سنة ١٨٤٠م من أجل استكشاف الصحراء الأسترالية؛ ولأنها كانت مناسبة للركوب. وصلت أول دفعة في الأول من يونيو ١٨٦٠م وعددهم ٨ من المسلمين والهندوس إلى ملبورن، والدفعة الثانية كانت في ١٨٦٦م عندما وصل ٣١ شخصاً من راجاستان وبلوشستان إلى جنوب أستراليا للعمل عند توماس إدر.

وصل المسلمون من أفغانستان وجليوا معهم الإسلام إلى أستراليا، واستقر راکبو الجمال في أليس سبرينغر ومناطق أخرى من الإقليم الشمالي، وتمت تسمية سكة الحديد التي تربط بين أدليد وداروين باسم غان (اختصار لكلمة أفغان) نسبة لوجود الأفغان في تلك الناحية . وخلال السبعينات تم التعاقد مع مسلمين غواصين من مالايو للعمل مع الهولنديين في أستراليا الغربية، وبحلول سنة ١٨٧٥م وصل عددهم إلى ١٨٠٠ غواص ولكن أغلبهم عادوا إلى بلدانهم الأصلية.

وتعود أصول المسلمين في أستراليا إلى البوسنة والهرسك، وتركيا، ولبنان، وإندونيسيا، وماليزيا، وإيران، وفيجي، وألبانيا، والسودان، ومصر، وفلسطين، والعراق، وأفغانستان، وباكستان، وبنغلاديش، وغيرها من البلدان، وقد تم تأسيس العديد من الجمعيات والمساجد، واستمر الأمر وتوسع تلبية لتزايد عدد المهاجرين ونموهم.

والمسلمون من لبنان يشكلون جوهر سكان أستراليا ويتمركزون في مدينة سيدني حيث إن معظم العرب يعيشون هناك، حوالي ٣,٤% من سكان سيدني مسلمون.

ويوجد هناك أيضاً مهاجرون صوماليون ممن تركوا بلادهم بعد اندلاع الحرب الأهلية في سنة ١٩٩١م، وهم منتشرون في جميع أنحاء أستراليا. وفي العقد الأخير من القرن العشرين زاد عدد المسلمين من ١٤٧ر٤٨٧ (٠,٨٨% من السكان سنة ١٩٩١م) إلى ٢٠٠ر٨٨٥ (١,١٢% من السكان سنة ١٩٩٦م).

وأغلب المسلمين الذين يعيشون في ملبورن تعود أصولهم إلى تركيا والبوسنة حيث يتمركز الأتراك في المناطق الشمالية، مثل: برودميدوز، بينما يتمركز البوسنيون في المناطق الجنوبية، مثل: بارك نوبل وداندينونغ.

وعدد قليل جداً من المسلمين يعيشون في المناطق الإقليمية (مع استثناء الجالية التركية والبوسنية) في سيبارتون وفيكتوريا والملايو في كاتانينغ غرب أستراليا، وقد استقر بعض العراقيين في كوبرام على ضفاف نهر موراي في ولاية فيكتوريا، كما أن مدينة بيرث تحتوي على مجتمع مسلم ويتمركزون حول ضاحية ثورنلي حيث يوجد مسجد، ويعد أقدم مسجد في مدينة بيرث هو مسجد بيرث الذي يقع على شارع الأمير ويليام في نورثبريدج، وقد شهد المسجد العديد من التجديدات مع الاحتفاظ بالقسم الأصلي قائماً، وتقع المساجد الأخرى في بيرث في ميرابوكا، وريفيرفالي بيتشورو، وهيورن.

كما توجد أيضاً مجتمعات إسلامية من تركيا وشبه القارة الهندية (باكستان، والهند، وبنغلاديش) وجنوب شرق آسيا في سيدني وملبورن، ويتمركز الأتراك حول أوبورن، ونيوساوث ويلز، وميدو هايتس، وبارك روكسمبيرغ، بينما يتمركز مسلمو جنوب آسيا في باراماتا، ومسلمو إندونيسيا في داروين.

حسب الإحصاءات الرسمية للعام ٢٠٠١م يتوزع المسلمون على النحو التالي :

مواليد أستراليا ٣٦%، من لبنان ١٠%، من تركيا ٨,٥%، من البوسنة ٤%، من أفغانستان ٣,٥%، من باكستان ٣,٢%، من إندونيسيا ٢,٩%، من العراق ٢,٨% معظمهم من الشيعة، من بنغلاديش ٢,٧%، من إيران ٢,٣%، من فيجي ٢%.

أما توزيعهم حسب الولايات فإن نيو ساوث ويلز تحتوي على ٥٠% من المسلمين، تليها فكتوريا ٣٣%، ثم غرب أستراليا ٧%، وكوينزلاند ٥%، ثم جنوب أستراليا ٣%، ثم العاصمة كانبرا ١%، ثم الإقليم الشمالي وتاسمانيا ٠,٣% . وأغلبية المسلمين في تعداد ٢٠٠٦م ولدوا خارج

أستراليا بنسبة ٥٨% (١٩٨٤٠٠) حيث أغلبهم من مواليد لبنان بنسبة ٩% يليهم مواليد تركيا ٧%. كما توجد علاقات تجارية بين أستراليا وعدة بلدان إسلامية لاسيما فى منطقة الشرق الأوسط، على سبيل المثال، تجارة تصدير اللحوم الحلال ، والآلاف من الطلاب الأجانب الذى يدرسون فى أستراليا قادمون من دول مثل ماليزيا، وإندونيسيا، وبنغلاديش، والهند، وباكستان، ومنذ سنة ٢٠٠١م وبعد الهجمات على مركز التجارة العالمى فى نيويورك وتفجيرات بالى ٢٠٠٥م وتفجيرات لندن ٢٠٠٧م فإن الإسلام والمجتمع المسلم أصبح محط المناقشة العامة؛ حيث عقدت العديد من المؤتمرات والاجتماعات حول مشكلة التطرف بين الشباب من المسلمين، كما نهج السياسيون ووسائل الإعلام نهجاً قوياً فى الحديث عن التطرف والجماعات المتطرفة. ومعدلات البطالة بين المسلمين المولودين بالخارج أعلى من أولئك الذين ولدوا فى أستراليا، وأيضاً متوسط أجور المسلمين هى أقل بكثير من المعدل العام، وأظهر تقرير ما يسمى بلجنة حقوق الإنسان وتكافؤ الفرص أن المسلمين الأستراليين يشعرون أن وسائل الإعلام الأسترالية غير منصفة وقاسية تجاه التعامل مع المسلمين ، وتحملهم تبعات ما يقوم به المتطرفون.

التحديات والأخطار التي تواجه الدعوة الإسلامية

في أستراليا

على الصعيد الجغرافي؛ تتمحور القارة الأسترالية بعيداً عن البلاد الإسلامية، مع ما يرافق ذلك من مصاعب تقنية وإدارية تزيد من صعوبة الوصول والتواصل بين الجاليات الإسلامية وبين المجتمعات الأصلية التي تمثل المرجع الثقافي الصالح لها، مع ما ينتج عن كل ذلك من قلة في أعداد العلماء والمشايخ والدعاة، ولا سيما أصحاب الأهلية التعليمية منهم، بينما لا يسمح هذا البعد الجغرافي نفسه سوى لقلّة قليلة من أبناء الجاليات الإسلامية بدراسة المناهج الدينية في المعاهد الشرعية العريقة -الأزهر الشريف مثلاً- فيلجأ البعض إلى طرق باب المعرفة من غير مصادرها الصحيحة السالمة من التحريف والتزوير؛ فينشأ بسبب ذلك مصائب في الأسواق وعلى بعض منابر المساجد من خلال شباب يمثلون حماسةً لكنه يفتقد إلى المعرفة الدينية الحقة.

وعلى الصعيد الإعلامي؛ تقصّر بعض المؤسسات الإعلامية والتلفزيونية منها على وجه الخصوص في أداء إعلام معتدل يرقى إلى المستوى المطلوب في الحوار بين ذوى الثقافات المتعددة، كما تفشل هذه المؤسسات - ولأهداف تتعلق بالانتشار حصراً- في مخاطبة الأقليات الإسلامية بما يتوافق مع حاجات هذه المرحلة الدقيقة من عمر الشعوب؛ مما يتسبب في ردود فعل سلبية من قبل بعض الشباب المسلم، فيتسبب كل ذلك في جنوح البعض منهم إلى ما لا تحمد عقباه في السلوك والممارسة الفردية لواقع التعايش والتفاعل مع المجتمع العام، بينما تكمن الحاجة اليوم كما أمس إلى حوارات تتحلّى بالحكمة، وإلى خطابات تتجمل بالموعظة الحسنة، وإلى دعاة يعرفون كيف يكون الجدل بالتي هي أحسن في دعوتهم إلى ما هو أقوم.

أما على الصعيد الاجتماعي فتعاني الجاليات الإسلامية - كما تعاني غيرها من بلاد الاغتراب- من ابتعاد كثير من المسلمين أنفسهم عن حقيقة الالتزام الديني زيادة على الجهل بأمور الدين، وهو الأمر المتفشى بين كثير من أبناء الجاليات الإسلامية في أستراليا نتيجة الابتعاد عن ينباع الصافية والمناهل الوافية في تلقى وفهم وقراءة المناهج الحقة، مناهج أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع وفي الدعوة إلى الله. كما تعتمد بعض الجماعات إلى محاولة نشر الثقافة الإسلامية ممزوجة ببعض العادات والتقاليد الشعبية المستوردة من المجتمعات المحلية في بلدانها الأصلية، والتي لا تحاكي حقيقة الحكم الشرعي، الأمر الذي يوقع المتلقين في سوء فهم لدى فقدانهم للتمييز بين الحكم الشرعي وبين العادات الشعبية المتوارثة.

وفى أستراليا؛ يوجد رعونة فى مكافحة الأفكار المنحرفة والمناهج المزورة والتي تتسلل إلى مجتمعات الجاليات الإسلامية من خلال بعض المنظمات التي تطرق أبوابهم باسم الدين زوراً وبهتاناً، وتدخل بيوتهم بزعم التدريس الدينى وتعليم القرآن الكريم، بينما الأمر فى حقيقته لا يعدو كونه تربيةً شاذةً عن المفاهيم الإسلامية الصالحة، وزرعاً خبيثاً لأفكار هدامة فى عقول الشباب المسلم الذى تدفع عائلته ثمن ذلك الحصاد الخبيث قبل أن يدفعه غيرهم من أبناء المجتمع، مما يعكس صورة غير صحيحة عن الإسلام وسماحة الدين العظيم، ومما يتسبب بتغيير غير المسلمين من الاقتراب ومشاهدة وسماع وفهم حقيقة الدعوة المحمدية التي من تعاليمها أن الله سبحانه يعطى على الرفق ما لا يعطى على غيره.

أساليب مواجهة التيارات المتطرفة وأفكارها:

ولما كانت هذه التحديات غالباً ما ترتبط بمواجهة التزوير ومكافحة طرائق تحريف الشريعة السمحاء، فقد تتمحور أهم الحلول المرتقبة بالدرجة الأولى فى المبادرة لحفظ الدين من التحريف، وفى السعى إلى صيانة عقائد المسلمين ومذاهبهم الفقهية المعتمدة المعتبرة عند جمهور الأمة المحمدية، وهو الأمر الذى لن يحصل بغير الجد والتعب والسهر على مصالح الأمة، وبذل الغالى والنفيس فى سبيل دعم كل ما تحتاجه هذه المسيرة المباركة من المادة العلمية الصافية من الشوائب والنزاعات الفارغة والأهواء الضالة، وكذلك الخبرة فى أساليب الدعوة، وقبل ذلك كله - أو بعده - إلى الاجتماع على كلمة سواء، وإلى تعاون مثمر فيما يُرضى رب العزة سبحانه وتعالى، فما أحوجنا إلى الاجتماع على البر والتقوى فى زمن انتشار الإثم والعدوان.

ولما كانت حاجة الجاليات الإسلامية إلى العلماء الصادقين فى ازدياد مستمر، لازدياد الكثافة السكانية الإسلامية، واتساع العمران، والانتشار الإنسانى المتعاطم فى القارة الأسترالية، كان لا بد من العمل على بناء المزيد من المساجد التى يجتمع فيها المسلمون على العبادة والتعلم الدينى الصحيح، ليشكل لهم ذلك حصناً حصيناً من موبقات العصر والتي تعارف الناس على تسميتها بالتطرف البغيض، والإرهاب المذموم، والذى يكاد كل مسلم يتعرض فيه للتهمة بسبب جرائم المتطرفين فى الشرق والغرب، تلك الجرائم التى استفحل شرها، والتي تطول أبناء ملتنا قبل أن تطول الآخرين بالضر والأذى، ولا يقوم بها غالباً إلا من وصفهم النبى ﷺ بالمارقين؛ فهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وكل ما ينطبق على بناء المساجد ينطبق على بناء المدارس العصرية، والمعاهد الشرعية، بل النوادى الرياضية وربما الاجتماعية منها، فالخبير بالأمور والبصير بالشئون يعرف أن الدعوة

ينبغي أن تصل إلى الناس من سائر الأصعدة والنواحي الحياتية والمعيشية كافة، لا أن تقتصر الدعوة إلى الدين والشرع على خطبة الجمعة، بينما تفرغ مساجد المسلمين من المصلين في بقية أيام الأسبوع، ولا أن تقتصر على مراسم دفن وعزاء، ولا على قراءة الفاتحة في مواسم الأتراح والأفراح، بينما تغفل القلوب والضمائر عن تدبر القرآن الكريم في سائر الأوقات، إن المسلم المؤمن كيس فطن، يعرف أن أمر الآخرة أجل وأعظم، فيهون عليه أمر الحياة الدنيا، فلا يغفل عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)،

تجربة دار الفتوى في أستراليا وموازنة فقه الأقليات الإسلامية:

في القرن الماضي تسببت الحروب الطويلة، والاستعمار الغربي، والأحوال المعيشية الضيقة في هجرة كثير من المسلمين من بلادهم إلى بلاد غير المسلمين في شتى بقاع الأرض في الشرق والغرب والشمال والجنوب، وقد تشكلت منهم هناك مجموعات بشرية أطلق عليها بعض المصنفين مصطلح "الأقليات الإسلامية".

وزدادت حاجة تلك المجموعات إلى المؤسسات التي من شأنها أن تساعدهم في تنظيم شؤونهم الدينية العامة بامتداداتها الاجتماعية وغيرها؛ مما لا تقوم به الدوائر الرسمية التابعة لحكومات تلك البلاد؛ فكانت الحاجة إلى المعلم والشيخ والمدرس والخطيب والمفتى والمأذون له بشهادة عقود الزواج وغير ذلك كثير.

في العصر الحديث؛ وبعد أن تكاثرت أعداد المهاجرين المسلمين في بلاد غير المسلمين؛ وبعد أن تحولت أعداد المهاجرين إلى جاليات لها ثقافتها الإسلامية في مجتمع أكثرية لا تدين بالإسلام؛ بدأت هذه الجاليات ببذل جهود لتنظيم شؤونها الدينية العامة في مجتمعات لا تتشابه فيها الظروف والحيثيات التي يبتنى على أساسها كثير من الأحكام الفقهية المعهودة في أوطان المسلمين، فنشأ ما أطلق عليه مصطلح (فقه الأقليات).

وتسببت نشأة الأجيال المتعاقبة من أبناء المهاجرين في بلاد غير إسلامية بعيداً عن العلماء ومجالسهم في الحاجة إلى من يقوم على (تصحيح) مفاهيمهم الدينية، وصيانة عقائدهم، ومن ثم إرشادهم إلى الأحكام الشرعية في الزواج والطلاق، وكثير من الأحكام المتعلقة بشؤون الأسرة المسلمة، وبيان الحلال والحرام في الملبوس والمأكل والمعاملات التجارية وغسل الميت وتكفينه

(١) آل عمران : ١١٠ .

والصلاة عليه ودفنه، وكثير من الأمور الفقهية الأخرى؛ وكل ذلك لا يختلف عن حقيقة الفقه الإسلامى، وإن أطلق عليه البعض مصطلح فقه الأقليات لخصوصية بعض الأحكام التى تختلف حيثياتها وظروف الحكم الشرعى عليها.

فالأحكام الشرعية لا تختلف فى بلاد المهجر عن أوطان المسلمين؛ إلا أن اختلاف الحيثيات والعوامل فى المعهود المعيش فى بلاد المهجر ينشأ معه تفصيل جديد أو مخصوص بتلك الحيثية، وذلك الظرف المعيش الذى لو تحصّل فى الوطن (الأم) لما اختلف الحكم الشرعى فيه أو عليه، لا سيما وأننا علمنا أن الحكم فى المهجر لا يُستمد من مصادر أخرى غير ما يستمد عليه الحكم الشرعى فى بلاد المسلمين؛ فالمراجع هى هى، والمصادر هى هى، بل المذاهب الفقهية هى هى هنا وهناك.

فالحاجة إلى ترسيخ فقه المذاهب الأربعة فى بلاد المهجر من الحاجة إلى ترسيخ هذا الفقه فى بلاد المسلمين؛ وذلك أن عصرنا هذا - وللأسف الشديد - انتشرت فيه الفتوى بغير علم، وانتشرت فيه نسبة كبيرة من المسائل المغلوطة المنسوبة إلى المذاهب الأربعة المعتبرة عند جمهور المسلمين؛ فقد يجد الباحث من يفتى بخلاف مسألة انعقد عليها إجماع الأمة، ثم لا يجد من يرده إلى الحق والصواب نتيجة تفتى الجهل بعلم الدين بين أبناء المسلمين فى تلك الجاليات، التى قد تعود هجرة أوائل مهاجريها إلى ما يزيد عن مائة سنة بعيداً عن بلاد المسلمين وعن مجالس العلم والعلماء.

الجاليات الإسلامية وتبليغ الدعوة:

الجاليات الإسلامية فى بلاد المهجر؛ مفتوح لها باب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، حيث إن القوانين الوضعية فى بلاد الاغتراب لا تمنع مزاوله الدعوة الإسلامية بشروط الأمر الذى من شأنه أن يفتح باب الجهاد باللسان والبيان والتبيين على مصراعيه، عبر إظهار مكارم الأخلاق التى يدعو إليها الدين الحنيف، والتزام المسلم بوعده وعهده فى سائر معاملاته التى تطول كافة نواحي المعيشة؛ وهو الأمر الذى حدا ببعض العلماء الذين عاصرناهم فى بعض البلدان العربية إلى قول: إن هذا الزمان هو زمان الجهاد باللسان ليس غير؛ لأن الباب مفتوح لمن أراد نشر الخير فى شتى بقاع الدنيا.

الآثار السلبية للتطرف باسم الدين على الدعوة فى المهجر:

إن الدعوة إلى الله فى المهجر تواجه تحدياً قاسياً يتمثل فى التطرف باسم الدين؛ هذا المنهج الفاسد الذى تسبب فى نفور كثير من أبناء المجتمعات الغربية من الإسلام والمسلمين؛ وقد مثّلت

ردود الفعل على التطرف عداوة ظاهرة من بعض أبناء تلك المجتمعات حيث ارتكبوا جرائم بحق مسلمين أبرياء لا ذنب لهم ولا يد في ذلك التطرف الممقوت؛ إضافة إلى تشدد السلطات في مكافحة تداعيات تلك الظاهرة على مجتمعاتها مما انعكس - أحياناً - في صورة قوانين وضعية تحمل في طياتها بذور التضيق على المسلمين بشكل عام، كل ذلك يدعونا إلى الوقوف بقوة ضد محاولات المتطرفين الامتداد إلى مجتمعات المسلمين في بلاد الاغتراب؛ صيانة لعقائد المسلمين وأحكام دينهم أولاً، ثم حماية لأشخاصهم وحقوقهم العامة ثانياً. فإن كان لمصطلح فقه الأقليات حظ أو دور في مناهج الدعاة إلى الله في بلاد الاغتراب، ينبغي ألا تغفل هذه المناهج عن التنبيه إلى هذه النقطة شديدة الحساسية والخطورة.

الحذر من استعمال البعض لمصطلح فقه الأقليات الإسلامية للخروج عن المقاصد الشرعية في الأحكام :

وقد رأينا كيف طرح البعض مصطلح فقه الأقليات الإسلامية بغية التوصل إلى الإفتاء بأحكام متساهلة تخالف مقاصد الشريعة السمحاء، مما قد يضيق المقام لذكره؛ ونقول: إنه إن كان لا بد من تعميم فكرة مصطلح فقه الأقليات، فينبغي أن تكون موافقة مقاصد الشريعة أول وظائف الدعاة إلى الله في بلاد الاغتراب.

إن الأقليات الإسلامية تخطت حاجز الغربة لأجل لقمة الخبز، وتحولت المهاجر أوطاناً لكثير من أبناء المسلمين المهاجرين في العقود الأخيرة في أمريكا وأوروبا وأستراليا وغيرها؛ الأمر الذي يدعو إلى تغيير النمطية في التعامل مع الجاليات الإسلامية كعابرة سبيل في تلك البلاد والأمصار القريبة والبعيدة؛ كما أنها ليست جاليات عربية بالضرورة بل جاليات إسلامية؛ عربية وغير عربية؛ يجمعهم رابط العقيدة الإسلامية الحقة التي ينبغي العمل على صيانتها ليل نهار، لا سيما مع ازدياد شبهات الإلحاد وكثرة نظريات الكونيين المخالفة للقرآن الكريم.

إن المسلم المغترب الذي يعيش في مجتمع غالبية أفراده من غير المسلمين؛ لا تقل وظائفه الدينية عن المسلم المقيم في مجتمعات ذات أغلبية إسلامية، ومن حيث المبدأ؛ فالعنصر الجامع في الحياة الدينية ينبغي أن يكون دائماً موافقة المقاصد الشرعية، لأن مصلحة المسلمين العامة لا تتحقق من خلال خرق المقاصد الشرعية، بل هذه المقاصد هي المحور الذي لا ينبغي لأي مجموعة مسلمة أن تغفل عنه في تلقى المفاهيم الدينية وتلقينها.

دار الفتوى فى أستراليا

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَةُ لِيَجْعَلَ الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ

وَلَا فَسَادًا وَالْعِزَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

نضع بين أيديكم هذا الموقع الخاص بدار الفتوى - المجلس الإسلامى الأعلى فى أستراليا -
تلبية لحاجات الجالية الإسلامية فى أستراليا. (www.darulfatwa.org.au).

وقد قصدنا إلقاء الضوء على أهم الأسباب التى دعت إلى تأسيسها، وتعريف الناس بمجمل أهدافها، وطبيعة عملها وأنشطتها، بالإضافة إلى الخدمات الجمة التى تسديها لخدمة المواطن الأسترالى المسلم.

لقد كان قرارنا أن نعمل ونجد ونجتهد رغم كل المصاعب التى واجهناها، لدعم هذه الانطلاقة المباركة، متوكلين بذلك على الله سبحانه وتعالى، ثم معتمدين على خبرات أهل الخير، للرقى بالمواطن الأسترالى المسلم، ولبلورة الجهود وتكثيفها فيما يضمن توحيد الكلمة وتقوية الصف وجمع الشتات. إنه كتاب ينطق بالصدق والخير ويدعو إليهما، إنها دعوة نحملها فى قلوبنا ونطبقها فى أعمالنا وننشرها بألسنتنا بين الناس.

إنه كتاب يدعوك لتفكر معنا فى مستقبل الأجيال الصاعدة، وحماية الوطن، ومصلحة الأمة، ويدعوك لتدعم منهج الاعتدال والتوسط، وتسهم فى رفع منارات الهداية ورايات الهدى والرشاد.

الدوافع لإقامة دار الفتوى:

استطاع نخبة من أهل الوعى والثقافة، بما يحملون من خصائص ومزايا، وبما يتحلون به من المؤهلات القيادية وحسن التدبير والتخطيط وبعد النظر، والكلمة البليغة والحكمة الرشيدة، أن يتوصلوا إلى أهمية إقامة دار للفتوى فى أستراليا تعنى بشئون المسلمين، وتنهض بهم إلى أعلى مراتب الرقى الحضارى، وتقودهم فى مسيرة رائدة، تقوم على بناء مرجعية إسلامية، تكفل للمواطن الأسترالى المسلم حقه بالعيش فى عز وأمان، وتدفع عنه موجات التمييز العرقى والدينى التى تعصف بنا بين الحين والآخر، وتحميه من آفات الفساد الأخلاقى ومخاطر التطرف والغلو فى الدين.

(١) القصص: ٨٣ .

كانت فكرة إقامة دار الفتوى نابعة من حاجة المسلم الأسترالى لمن يتكلم بلسانه، ويعبر عن مشاعره، فيتألم بألمه، ويكتب بقلمه، وذلك عن طريق تمثيله بمجلس يشكل أعلى هيئة إسلامية ومرجعية دينية لدى الدوائر الحكومية ووسائل الإعلام.

هذا وقد استنقت دار الفتوى منهاجها من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وما قرره علماء الإسلام أصحاب المذاهب الإسلامية المعتبرة، وترى أن أئمة المذاهب المعتبرة أئمة هدى، وأن اختلافهم فى فروع الأحكام رحمة بالأمة، وليست مسخرة لدولة من الدول لأجل الإمداد المالي. كما أنها ترفض كل أشكال التطرف المنحرف والهدام الذى أوصل أمتنا إلى شفير الهاوية، وتعتبر ما جرى من ممارسات شاذة متطرفة باسم الدين لا يمت إلى الإسلام بصلة.

الخدمات التى تؤديها دار الفتوى :

- تغذية المؤسسات الإعلامية بمقالات دينية وإفادتها بدراسات واقعية تعكس أوضاع الجالية الإسلامية، وتعبر عن رأيهم إزاء كل ما يجرى من الأوضاع الراهنة .
- إعلام المسلمين بالأطعمة والأشربة التى يحل للمسلم تناولها.
- تزويد المدارس الحكومية والخاصة بأساتذة مختصين؛ لتعليم القرآن الكريم وعلم الدين الصافى بالتنسيق مع الجمعيات الإسلامية.
- تزويد الراغبين من المسلمين بالفتاوى الشرعية مدعمة بالأدلة العقلية والنقلية.
- تزويد المسلمين بالروزنامة السنوية للتقويم الهجرى والتى تحوى كافة المناسبات الدينية، بالإضافة إلى إمساكية شهر رمضان المبارك.
- العناية بقضايا الشؤون الاجتماعية من زواج وطلاق، وحل وجوه الإشكال والنزاع التى تعرض لهما.
- توجيه النصائح والإرشادات للأسر المسلمة حول مختلف القضايا التى قد تعرض لهم فى الحياة اليومية.
- تزويد أئمة المساجد والمراكز والجمعيات الإسلامية فى أستراليا بالمواد الدينية المستقاة من كتاب الله والسنة النبوية المطهرة.
- إقامة دورات تحفيظ القرآن الكريم، ودراسة المتون الشرعية باللغتين العربية والإنجليزية بالتنسيق مع الجمعيات الإسلامية.
- إحياء المناسبات الدينية والتذكير بمعانيها بالتعاون والتنسيق مع الجمعيات الإسلامية.

الخاتمة

يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ^ط وَسُرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^(١).

عملاً بهذه الآية الكريمة ندعو كل المخلصين لرص الصفوف وتوحيد الجهود لنشر الخير؛ طلباً للأجر والثواب من الله تعالى.

معاً نعمل لتحقيق أهدافنا، ومعاً نصل إليها، نبذل ونعطى ونضحى، يحررنا أمر الآخرة. ماضون، سائرون، نتأمل في الماضي، ونسعى في الحاضر، ونخطط للمستقبل، يدنا ممدودة لتشابك يد كل مخلص؛ لنعبر معاً لغد أفضل.

المؤازرة تؤيد، والمساندة تعين، ونحن وأنتم نحتاج إلى البناء مرتفعاً وإلى الأمل متألّقاً، وإلى الطموح يتحقق؛ لتعلو المنارة ويثبت الركب على الدرب، والله تعالى يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْقَوَىٰ ^ط وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ^(٢)، وهو الموفق وعليه التكلان .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) التوبة: ١٠٥ .

(٢) المائدة: ٢ .